موقف الولايات المتحدة من المبادرة الأممية الجديدة لحل الأزمة الليبية

عبد النور تومي

تنظر الولايات المتحدة الأمريكية إلى ليبيا بوصفها همزة وصل بين جنوب البحر المتوسط ومنطقة الساحل الأفريقي، مما يجعل هذا البلد منطقة حيوية للأمن القومي الأمريكي والمصالح الأمريكية الجيو-سياسية والاقتصادية في الإطار العالمي، إضافة إلى أن ليبيا بلد نفطي هام في سوق الطاقة الدولية، كما تشكّل السواحل الليبية الجناح الجنوبي لحلف الناتو.

قدم المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة في ليبيا، السنغالي عبد الله باتيلي، مبادرة أممية جديدة لحل الأزمة الليبية، والاتفاق على قاعدة دستورية في هذه البلاد قبل يونيو/ حزيران 2023، لضمان إجراء الانتخابات قبل نهاية العام الجاري. هذه المبادرة تلقت ردة فعل داعمة واسعة من القوى الدولية والإقليمية، ومنهم الولايات المتحدة، التي حثت الفرقاء الليبيين نحو محاولة تغيير حالة الانسداد السياسي وعدم الاستقرار الأمني الذي تعيشه البلاد منذ سقوط نظام القذافي في 2012. تعد مهمة المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة في ليبيا صعبة ومعقدة، سقط جراء تفاعلاتها سبعة ممثلين للأمين العام للأمم المتحدة بليبيا قبله. كما أن حلّ موضوع إجلاء المقاتلين الأجانب من التراب الليبي، بات يتصدّر اهتمام المعنيين الفاعلين الليبيين ودول الجوار والقوى الدولية الغربية، مما

يعّد تحدّ كبيرا للجهات المتصارعة في الساحة، ورهاناً أممياً على أن يتم تحقيقه قبل سبتمبر/ أيلول القادم، في ظل المساعي الجدية للمبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة لتنظيم الانتخابات الرئاسية والتشريعية، للخروج بحل للأزمة متعددة الأبعاد التي تعيشها ليبيا منذ أكثر من عقد.

أفادت بعض الدول الغربية بأنها تمكنت إلى حد كبير من إقناع دول الجوار بالجنوب الليبي باستقبال مواطنيها من المسلحين في ليبيا، وأن هناك دولًا غربية أعربت عن استعدادها لتوفير حوافز مادية لمساعدة المسلحين، وتأمين عودتهم إلى بلدانهم بالاتفاق مع حكومات دولهم الأصلية.

عُرفت العلاقات الليبية-الأمريكية عبر تاريخها بمساراتها العدائية، فبرغم بعد المسافة بين الولايات المتحدة وليبيا، وعدم وجود نقاط نزاع اقتصادي أو سياسي بين البلدين، إلا ان واشنطن لم تخفي اهتمامها الكبير بالضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط عموما وشواطئ دول المغرب العربي: الجزائر وتونس وليبيا بصفة خاصة. ومن أهم الشواهد التاريخية على ذلك حادثة خليج سرت في أغسطس/ آب 1981، التي قام خلالها طيران البحرية الأمريكية بإسقاط طائرتين من سلاح الجو الليبي في خضم نزاع أمريكي-ليبي اندلع بعد مطالبة ليبيا بسيادتها على مياهها الإقليمية في خليج سرت. هذه الحادثة كانت حلقة في سلسلة من حوادث الصدامات العسكرية المحدودة، والمواجهات المخابراتية، بين الولايات المتحدة وليبيا، طوال أعوام حكم القذافي.

تنظر الولايات المتحدة الأمريكية إلى ليبيا بوصفها همزة وصل بين جنوب البحر المتوسط ومنطقة الساحل الأفريقي، مما يجعل هذا البلد منطقة حيوية للأمن القومي الأمريكي والمصالح الأمريكية الجيو-سياسية والاقتصادية في الإطار العالمي، إضافة إلى أن ليبيا بلد نفطي هام في سوق الطاقة الدولية، كما تشكّل السواحل الليبية الجناح الجنوبي لحلف الناتو. إذ ترى واشنطن ومن خلال إستراتيجيتها الشاملة تجاه منطقة شمال أفريقيا أن عدم استقرار ليبيا سوف يعزّز انتشار الجماعات المسلحة المتطرفة في الجنوب الليبي، مما يجعلها إمتدادا لنشاط الجماعات المسلحة المتطرفة والعصابات المتاجرة بالبشر في ليبيا وفي نقاط التوتر الأخرى في منطقة الساحل الإفريقي.

عرض الرئيس جو بايدن مؤخرا على الكونغرس الاستراتيجية الأمريكية في ليبيا، ضمن ما أطلق عليها "الخطة العشرية لتعزيز الاستقرار في مناطق الصراعات في العالم". التي قال عنها السفير والمبعوث الأمريكي الخاص إلى ليبيا ريتشارد نورلاند خلال لقائه نائب المجلس الرئاسي الليبي موسى الكوني، بأن استراتيجية بلاده الجديدة لمنع الصراع وتعزيز الاستقرار في ليبيا ستجلب التركيز والاهتمام للمناطق المهمشة تاريخياً في هذه البلاد.

وشدد المبعوث الأمريكي الخاص بليبيا على أن الدعم الأمريكي لمبادرة المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة الجديدة، يؤكد التزام الولايات المتحدة بالوقوف إلى جانب الشعب الليبي، ودعم التقدم نحو حكومة موحدة منتخبة ديمقراطيا يمكنها تقديم الخدمات العامة وتعزيز النمو الاقتصادي في جميع المجالات. وفي هذا الإطار قام مدير وكالة الإستخبارات الأمريكيةCIA وليام بيرنز بزيارة العاصمة طرابلس، حيث التقى رئيس الحكومة الوطنية الليبية عبد الحميد الدبيبة، واجتمع مع المشير المتقاعد خليفة حفتر بمدينة بنغازي في يناير/ كانون الثاني الماضي.

ضاعفت واشنطن اهتمامها بليبيا في ظل التقلبات والتحولات الدولية والإقليمية الراهنة التي تعيشها السياسة الدولية، وترى واشنطن أنه حان الوقت لتسوية الأزمة الليبية بدعمها لمبادرة المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة في ليبيا، السنغالي عبد الله باتيلي. وبالتالي تحرص واشنطن على مسار المصالحة الوطنية وإنهاء الانقسامات بإجراء انتخابات رئاسية وتشريعية فيما كانت آخر إنتخابات عرفها الناخب الليبي في عام 2014. والتى فاز بها التيار الإسلامي، مما دفع بالمشير المتقاعد خليفة حفتر أن ينقلب على الشرعية ويشن حربا ضد الحكومة الشرعية والبرلمان المنتخب بالعاصمة طرابلس، عندها دخلت ليبيا أزمة سياسية وأمنية، انقسم جرائها

الليبيون شرقا وغربا وجنوبا، وكادت أن تتحوّل ليبيا إلى دولة ميليشيات ودولة فاشلة، وهذا ما تخشاه دول الجوار، خاصة الجزائر التي تقف على مسافة واحدة من كل الأطراف الليبية، وتعتبر الحل الشرعي الوحيد في ليبيا هو إجراء الانتخابات.

تحتاج ليبيا إلى جيش موحّد يسعى لحماية الحدود البرية والبحرية ومؤسسات قوية وشرطة، تحتكم إلى عقيدة عصرية في تسيرها أمور الدولة المدنية تحت قواعد الأمن والحفاظ على النظام العام وتحقيق سلامة وأمن المواطن، وتسهر على محاربة ظاهرة الهجرة غير الشرعية التي أصبحت الشواطئ الليبية بوابة الموت لمئات المغامرين تجاه الشواطئ الإيطالية والمالطية، مما فاقم الظاهرة التي أصبحت مسألة أمن قومي للدول الأوروبية وكذا لدول الجوار، لذلك تسعى إيطاليا ومالطا إلى إيجاد حل عاجل لظاهرة الهجرة غير الشرعية والتي قبل أن تكون مسألة أمن قومي تبقي مسألة إنسانية بامتياز.

لذا نجد التدخل الأمريكي الأخير في ليبيا يندرج تحت إطار حرب واشنطن على الإرهاب كونه محدد هام في سياسة واشنطن في المنطقة، موضوع الإرهاب هو أيضا مرتبط بظاهرة الهجرة غير الشرعية وتداعياتها الأمنية والاجتماعية ليس على ليبيا فحسب بل حتى على الدول الجوار. تسعى واشنطن هذه المرة الى إنهاء النزاع والتوتر الدائم بين الفرقاء في ليبيا وفي منطقة الساحل الأفريقي عموما على ضوء الفراغ الأمني الذي تركته القوات الفرنسية بعد انسحابها من مالي وبوركينا فاسو والنيجر، كما تبيّن أن قوات فاغنر الروسية هي التي ملأت هذا الفراغ الأمني، وتموضعت من خلال استراتيجية الـ"الخلاص" للوجود الروسي بالمنطقة.

من جانب أخر وعلى ضوء الحرب الروسية-الأوكرانية وتداعياتها الطاقوية على دول الإتحاد الأوروبي، تعد ليبيا المصدر الثاني في المنطقة مع الجزائر لتزويد أوروبا بالغاز تعويضا للغاز الروسي، حيث ترى واشنطن هذا المتغير الجيو-إقتصادي الحيوي عنصراً مضافاً لضرورة تحقيق الاستقرار الداخلي في ليبيا، ضمن الحملة الغربية الكبرى لمواجهة روسيا والصين.

لهذا تحث واشنطن الفرقاء الليبيين على الاستجابة للمبادرة الأممية الجديدة والذهاب إلى الانتخابات، وبذلك فهي أرسلت رسالة تطمأن الليبيين ودول المنطقة المعنية بالملف الليبي، والقوى العالمية المهتمة بالشأن الليبي، بأنه لن يكون هنالك تهميشاً لأي طرف في مسار تسوية الأزمة الليبية، ما دام الجميع يخضعون لقواعد اللعبة الديمقراطية، التي ستكون هي الفيصل في رسم حدود سيطرة القوى الليبية المتنافسة. علما أن كل من الصين وروسيا اللتان تلعبان دورا حيويا في النزاع الليبي، خاصة موسكو التي لها علاقات تاريخية وعميقة مع الليبيين، وهي الآن من كبار داعمي المشير المتقاعد حفتر. هذا النفوذ الروسي في ليبيا سيشكل بالضرورة خطرا على المصالح الأمريكية في ليبيا، رغم التهاب المشاعر المعادية لروسيا من قبل جزء كبير من الليبيين، بسبب تعامل موسكو مع الملف الليبي وانحيازها ومساندتها العسكرية للمشير المتقاعد حفتر بقوات فاغنر المرتزقة في الجهة الشرقية والجنوبية من البلاد. ■

عبد النور تومي: باحث وأكاديمي من الجزائر، حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية، خبير في قسم دراسات شمال افريقيا في مركز أورسام.